كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

دروس في نحو الاختلاف في المشرق العربي

ماستر1/ سد 2 – لسانيات عربية

إعداد الأستاذ الدكتور عبد الجليل مصطفاوي

*****

المحاضرة7: صور من الخلاف النحوي في كتاب المغني:

ذكرتُ سابقاً أن منهج المدرسة المصرية- مثلها مثل المدرسة البغدادية- يقوم على الأخذ من مدرستي البصرة والكوفة على حد سواء. وسأعرض ههنا صورا من ذلك في كتاب (مغني اللبيب) لابن هشام المصري(تـــ761هـــ).

1- ذكر جمال الدين بن هشام المصري- في باب(إِنْ) المكسورة الخفيفة- أنها تكون شرطية ونافية؛ فإن كانت نافية دخلت على الجملة الاسمية، نحو قوله تعالى(إِنِ الكَافِرُونَ إِلاَّ في غُرُورٍ)، وقوله(إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلاَّ اللاَّئِي وَلَدْنَهُمْ) وعلى الجملة الفعلية، نحو قوله تعالى(إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ الحُسْنَى)، وقوله(إِنْ يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِباً).

قال:**"** وإذا دخلت على الجملة الاسمية لم تعمل عند سيبويه والفراء، وأجاز الكسائي والمبرِّد إعمالَها عمل ليس، وقرأ سعيد بن جُبير(إِنِ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ عِبَاداً لَكُمْ) بنون مُخفَّفة مكسورة لالتقاء الساكنين ونصب (عِبَاداً) و(أَمْثَالَكُمْ) **"**[1].

2- وذكر في (أَيُّ) أنها تكون للشرط والاستفهام، وتكون أيضا لموصولة كما في قوله تعالى(لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ)، فقال:**"** التقدير: لننزعنَّ الذي هو أشدُّ، قاله سيبويه، وخالفه الكوفيون وجماعة من البصريين؛ لأنهم يرون أنَّ(أَيًّا) الموصولة معربة دائما كالشرطية والاستفهامية، قال الزجَّاج: ما تبين لي أن سيبويه غلط إلا في موضعين هذا أحدهما، فإنه يسَلِّم أنها تعرب إذا أفردت، فكيف يقول ببنائها إذا أضيفت؟ وقال الجرمي: خرجتُ من البصرة فلم أسمع منذ فارقت الخندق إلى مكة أحدا يقول: لأضربَنَّ أيُّهم قائمٌ. وزعم هؤلاء أنها في الآية استفهامية، وأنها مبتدأ وأشدُّ خبر، ثم اختلفوا في مفعول ننزِعُ، فقال الخليل: محذوف، والتقدير: لننزعنَّ الفريق الذي يقال فيهم أَيُّهُم أشدُّ، وقال يونس: هو الجملة، وعُلِّقتْ (ننزع) عن العمل كما في (لِنَعْلَمَ أَيُّ الحِزْبَيْنِ أَحْصَى)، وقال الكسائي

[1] - مغني اللبيب لابن هشام، ص35-36.

والأخفش: كل شيعة، و(من) زائدة، وجملة الاستفهام مستأنفة، وذلك على قولهما في جواز زيادة (من) في الإيجاب"[2].

ثم أبدى رأيه بقوة - في المسألة- قائلا:" ويردُّ أقوالهم أن التعليق مختص بأفعال القلوب، وأنه لا يجوز(لأَضربَنَّ الفاسقُ) بالرفع، بتقدير الذي يُقالُ فيه: هو الفاسقُ، وأنه لم يثبت زيادة (من) في الإيجاب. وقول الشاعر:

إذا ما لقِيتَ بني مالكٍ فسلِّمْ على أيُّهُم أفضلُ

يروى بضم(أيُّ)، وحروف الجرِّ لا تُعلَّقُ، ولا يجوز حذف المجرور ودخول الجار على معمول صلته، ولا يستأنف ما بعد الجَارِّ.

وجوَّز الزمخشري وجماعة كونها موصولة مع أن الضمة إعراب؛ فقدَّروا مُتعلِّقَ النزع من كل شيعة، وكأنه قيل: لننزعنَّ بعض كلِّ شيعة، ثم قدَّر أنه سئل: من هذا البعض؟ فقيل: هو الذي هو أشدُّ، ثم حذف المبتدآن المكتنفان للموصول، وفيه تعسُّفٌ ظاهر، ولا أعلمهم استعملوا (أيًّا) الموصولة مبتدأ"[3].

فتأمَّل كيف ردَّ ابن هشام رأي النحاة السابقين بكل اعتداد، ودليله في كفِّه؛ مما يدل على أنه لم يكن يرضى- من آرائهم وتأويلاتهم وتقديراتهم- إلا بما يتناسب مع طبيعة اللغة العربية، فرأي المتقدم ليس أمراً مقبولا في كل الأحوال.

3- وفي عرضه لمعاني(كَلاَّ) قال إنها عند ثعلب مركبة من كاف التشبيه ولا النافية، وإنما شدِّدت اللام لتقوية المعنى، ولدفع توهُّم بقاء معنى الكلمتين..ثم ذكر أنها عند الخليل وسيبويه والمبرد، وأكثر البصريين حرف معناه الردع والزجر، ولا معنى لها إلا ذلك..

ثم نجده يرد هذا الرأي؛ لأنه لا يظهر معنى الزجر في(كلاَّ) في قوله تعالى(فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ، كَلاَّ بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ)، وقوله تعالى(يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ العَالَمِينَ، كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ الفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ)، وقوله تعالى(ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ، كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ العَاجِلَةَ). قال:"..وقولهم المعنى: انتهِ عن ترك الإيمان بالتصويرـ في أي صورة ما شاء الله، وبالعبث، وعن العجلة بالقرآن تعسُّف؛ إذ لم يتقدم في الأولين حكاية نفي ذلك عن أحد، ولطول الفصل في الثالثة بين كلاَّ وذكر العجلة، وأيضا فإن أول ما نزل خمس آيات من أول سورة العلق، ثم نزل(كَلاَّ إِنَّ الإِنْسَانَ لَيَطْغَى) فجاءت في افتتاح الكلام، والوارد منها في التنزيل ثلاثة وثلاثون موضعاً كلها في النصف الأخير"[4].

---

[2] - مغني اللبيب، ص107-108.

[3] - نفسه، ص108.

[4] - مغني اللبيب، ص249-250.

ثم أورد رأي كل من الكسائي زعيم الكوفة، وأبي حاتم السجستاني البصري اللذين ذكرا أن معنى الردع والزجر في (كَلاَّ) ليس مستمرا فيها دائما، فزادوا فيها " معنى ثانيا يصح عليه أن يوقف دونها، ويبتدأ بها. ثم اختلفوا في تعيين ذلك المعنى على ثلاثة أقوال، أحدها للكسائي ومتابعيه، قالوا تكون بمعنى حقًّا، والثاني لأبي حاتم ومتابعيه، قالوا: تكون بمعنى (أَلاَ) الاستفتاحية، والثالث للنَّضْرِ بن شُميل والفرَّاء ومن وافقهما، قالوا: تكون حرف جواب بمنزلة إيْ ونعم، وحملوا عليه(كَلاَّ وَالقَمَرِ) فقالوا: معناه إيْ والقمرِ"[5].

ونجده يختار قول أبي حاتم السجستاني؛ لأنه" أكثر اطِّراداً؛ فإن قول النضر لا يتأتَّى لإي آيتي المؤمنين والشعراء على ما سيأتي، وقول الكسائي لا يتأتى في نحو(كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ الأَبْرَارِ)،(كَلاَّ إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوِمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ) لأنَّ أَنَّ تكسر بعد(ألا) الاستفتاحية، ولا تكسر بعد(حقًّا) ولا بعد ما كان بمعناها، ولأن تفسير حرف بحرف أولى من تفسير حرف باسم"[6].

ثم نجده يذكر احتمالات معانيها؛ فيرجح حملها على الردع لأنه الغالب فيها، وذلك نحو(أَطَّلَعَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْداً، كَلاَّ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ)، (وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ آلِهَةً لِيَكُونُا لَهُمْ عِزًّا، كَلاَّ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ).

ثم هي تتوزع بين الردع أو الاستفتاح نحو(رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ، كَلاَّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ)؛ لأنها- كما يؤكد ابن هشام- لو كانت بمعنى حَقًّا لما كُسرت همزة إنَّ، ولو كانت بمعنى نَعَمْ لكانت للوعد بالرجوع، لأنها بعد الطلب كما يقال: أكرم فلانا، فتقول: نعم، ونحو(قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُون، قَالَ كَلاَّ إِنَّ مَعِي رَبِّي سَيَهْدِينِ)، وذلك لكسر إنَّ، ولأن نَعَمْ بعد الخبر للتصديق[7].

ويرى أيضا أنه قد يمتنع كونها للزجر، كما في قوله تعالى(وَمَا هِيَ إِلاَّ ذِكْرَى لِلْبَشَرِ، كَلاَّ وَالقَمَرِ). ثم ينبه على قراءة(كَلاًّ) بالتنوين في قوله تعالى(كَلاَّ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ)؛ فهي إمَّا على أنه مصدر للفعل كَلَّ، أي أَعيَا بمعنى أنهم كَلُّوا في دعواهم وانقطعوا، أو هو من الكَلِّ، أي الثقل، أي أنهم حملوا كَلاًّ. ويذكر أن الزمخشري جوز كونه حرفا للردع ونُوِّنَ كما في قوله تعالى(سَلاَسِلاً)"[8].

*****

---

[5] - نفسه، ص250.

[6] - نفسه، ص250.

[7] - ينظر المغني، ص251.

[8] - نفسه، ص251.

لم يكن ابن هشام- كما هو واضح من تحليلاتـه وشـروحه- مجـرد ناقـل لآراء النحـاة القدامى واختلافاتهم بل وجدناه يناقش هذه الآراء، ويعارضـها، ويردُّها في أحيان كثيرة، مما يدل على أنه كان واسع الاطلاع، قوي الاستيعاب لمسائل النحو العربي..وهـو مـا مكنـه من الاستقلال برأيه، والاعتداد بأفكاره، بل إن آراءه النحويـة كـانت منـاط معاصـريه واللاحقين به من نحاة مصر وبلاد المغرب والمشرق عامة.